آداب
عُمَّار المساجد

جمعها

مسير ماطر الظفيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ،

فقد كنت أصلي العشاء والتراويح في الأيام الماضية عند أحد المشايخ المعروف بحسن صوته ؛ وما ذلك إلا لأن حسن الصوت يساعد على الخشوع في الصلاة ، فالعبد يكتب له من صلاته بقدر خشوعه فيها قال ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا**» [رواه أحمد في مسنده] .

وفي اليوم الأول الذي حضرت فيه عند الشيخ كان المسجد مكتظ بالمصلين من قبل أذان العشاء وحتىٰ صلاة الوتر.

وفي اليوم الثاني كذلك كان المسجد مكتظ بالمصلين من قبل أذان العشاء وحتىٰ صلاة الوتر.

وفي اليوم الثالث حدث أمر خطير، جئت إلىٰ المسجد كعادتي ووجدت المصلين مكتظين قبل أذان العشاء، وعندما أقيمت الصلاة وإذا بالشيخ لم يحضر وأم المصلين شخص آخر، وليس هذا هو الأمر الخطير، بل الأمر الخطير هو أنه بعد صلاة العشاء خرج من المسجد من

المصلين ما يقرب نصفهم ولم يكملوا صلاة التراويح مع الإمام! فقلت في نفسي: سبحان الله إن الذين خرجوا من المسجد بعد صلاة العشاء ولم يصلوا التراويح مع الإمام لهم أقسام أربعة:

قسم صلىٰ العشاء مع الإمام وكان لديه في الأصل عمل أو موعد ضروري ولم يكن يقصد من بداية الأمر أن يصلي التراويح مع الإمام، فهذا نقول له حاول أن تجتهد في العبادة قدر المستطاع وأن تترك الأعمال الأخرىٰ، فإن سلف هذه الأمة كانوا يتفرغون للعبادة في شهر رمضان وإن لم تستطع فـ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا

﴿إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ ولا شي عليك بإذن الله تعالىٰ.

وقسم آخر صلىٰ العشاء مع الإمام فلما علم أن الشيخ حسن الصوت قد اعتذر وأن الإمام شخص آخر؛ خرج من المسجد يبحث عن شيخ حسن الصوت ليكمل معه التراويح، وهذا لم ينتبه أنه فقد أجر قيام الليلة كاملة! قال ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّىٰ مَعَ الإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**» [رواه أبوداود].

فليتوقف أولئك الذين يتنقلون من شيخ إلىٰ آخر في التراويح، فتجده في الركعتين الأوليين عند فلان وفي الأخريين عند فلان حتىٰ أضاع ليلته بين

هذا وذاك!.

وقسم ثالث ترك الصلاة لعدم حضور الشيخ! وهذه هي الطامة الكبرىٰ والمصيبة العظمىٰ! قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما. فإن هذا المصلي لما ترك صلاة التراويح لأجل عدم حضور الشيخ كان قد دخل في الشرك والعياذ بالله، فالعمل لأجل الناس شرك والعياذ بالله، ويجب أن يخلص العمل لله عَزَّ وَجَلَّ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» [رواه مسلم]

وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]

فالله ﷻ يخاطب بهذه الآية داعية التوحيد العظيم، وإمام الموحدين، وهو رسول الله ﷺ (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) فكل الرسل أوحى الله إليهم؛ بهذا الأمر العظيم ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ فإذا كان الله ﷻ يحذر رسوله ومصطفاه وخيرته من خلقة محمداً ﷺ من الشرك، فيجب علينا نحن الضعفاء، والذي احتمال وقوعنا في الشرك وارد أن

نحذر منه، أما هو ﷺ فالاحتمال فيه غير وارد، ولكن التحذير له من باب التذكير.
[دروس في رحلة فتح المجيد للشيخ سفر الحوالي، المقدمة].

وقسم رابع أصابهم العجز والكسل إما لكثرة الأكل أو لضعف الهمة فأولئك عليهم بالدعاء كما كان يدعو صلى الله عليه وسلم ويَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ**» [رواه البخاري].

وليجتهدوا في الطاعة فإن النبي ﷺ كان يجتهد في رمضان ويدارسه جبريل عليه السلام القرآن.

كما علينا أن نعمر مساجد الله ﷻ قال

ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

قال ابن كثير رحمه الله: فَشَهِدَ تَعَالَىٰ بِالْإِيمَانِ لِعُمَّار الْمَسَاجِد كَمَا قَالَ الْإِمَام أَحْمَد... عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُل يَعْتَاد الْمَسْجِد فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ**»، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [تفسير القرآن العظيم، سورة التوبة: ١٨].

فلابد من عمارتها بالطاعات بالصلاة

والذكر وقراءة القرآن قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ومَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**» [رواه مسلم].

وعلينا الاهتمام ببنائها والمحافظة عليها وتعليم أولادنا ذلك، وأن لا يكونوا ممن يخربها قال النَّبِي ﷺ: «**مَنْ بَنَىٰ لِلَّهِ مَسْجِداً وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ**». [رواه أحمد في مسنده].

ومفحص القطاة هو الموضع الذي تجلس فيه القطاة وهي اليمامة وتبيض فيا

لكرم الله ﷻ.

كذلك علينا الاهتمام بنظافتها والتجمل عند الذهاب إلىٰ المسجد، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، قال ابن كثير رحمه الله: يُسْتَحَبّ التَّجَمُّل عِنْد الصَّلَاة وَلَا سِيَّمَا يَوْم الْجُمْعَة وَيَوْم الْعِيد وَالطِّيب لِأَنَّهُ مِنْ الزِّينَة وَالسِّوَاك لِأَنَّهُ مِنْ تَمَام ذَلِكَ وَمِنْ أَفْضَل اللِّبَاس الْبَيَاض... عَنْ ابْنِ عَبَّاس مَرْفُوعًا قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «اِلْبَسُوا مِنْ ثِيَابكُمْ الْبَيَاض فَإِنَّهَا مِنْ خَيْر ثِيَابكُمْ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ وَإِنَّ خَيْر

أَكْحَالكُمْ الْإِثْمِد فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَر وَيُنْبِت الشَّعْر» [رواه أحمد في مسنده وانظر تفسير القرآن العظيم، سورة الأعراف: ٣١].

إن من الناس من يأتي المسجد مبكرًا ولكنه للأسف ينشغل عن العبادة بالأحاديث الدنيوية التي لا تسمن ولا تغني من جوع، مفوتا علىٰ نفسه الأجر العظيم، وأذكر نفسي وإياكم بحديث الأعرابي الذي بال في المسجد فقال أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ**». فَتَرَكُوهُ حَتَّىٰ بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيءٍ مِنْ**

هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ ﷻ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» [رواه مسلم].

كذلك لابد أن تنتبه أخي الحبيب إلىٰ عدم رفع صوتك في المسجد؛ لأن هناك من الناس من يدخل المسجد وكأنه في سوق! فيرفع صوته ويشوش علىٰ المصلي والقارئ والذاكر، عَنِ الْبَيَاضِيّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَىٰ النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ بِهِ وَلاَ يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ» [رواه مالك في موطئه].

فإذا كان النبي ﷺ قد نهانا أن نرفع

أصواتنا علىٰ بعضنا ونحن نقرأ القرآن فكيف بغيره؟!

أخي الحبيب إن المسجد يذكرك فيقول:

أنـــا مســـجد لله مـــر بســـاحتي

دهـــر طويـــل وانطـــوت أعمـــار

كم زارني التاريخ زورة عاشـــق

ولكـــم تجمـــع عنـــدي الأبـــرار

بـالأمس تمتلئ القلوب مهـابـة

منـي وتشـرح صـدري الأذكـار

ويرتـــل القـــرآن بـــين جـــوانحي

فجوانحي بهـدىٰ الكتـاب تنـار

وتثير إعجاب السـحاب مآذني

وتحيطنـي بحنانهـا الأسـوار

كم جاء من يأوي إليّ فضمه

صدري الحنون وزالت الأخطار

[عندما يئن العفاف للعشماوي ص: ١٣٦ ـ ١٣٧]

اللهم أزل عنا الأخطار واجعلنا ممن

يأوي إلىٰ بيتك ومن عُمّاره يا كريم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.